

الفصل الأول

الوجود التاريخي لموسى وهارون - عليهما السلام -

المبحث الأول: موسى وهارون - عليهما السلام - في القرآن والكتاب المقدس

موسى -عليه السلام-، نبي من نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام-، أحد أولي العزم من الرسل. لم يُذكر في القرآن خبر نبيّ بتفصيل وتكرار مثل خبره. نزلت عليه التوراة التي اتّبعها بعده جميع أنبياء بني إسرائيل. ولم تُنسخ إلاّ بنزول القرآن. وقد جاءت قصّة أخيه هارون -عليه السلام- في ثنايا قصّته مع فرعون وما كان في رحلة التيه.

خلاصة قصّتهما -عليهما السلام- أنّ موسى -عليه السلام- قد وُلد في زمن استضعاف فرعون لبني إسرائيل في مصر. ولمّا خشيت عليه أمّه أن يُقتل، ألهمت أن تضعه في تابوت، وترميه في اليمّ. وساقه الله سبحانه بعد ذلك في الماء إلى زوجة فرعون التي طلبت الاحتفاظ به لتربيته.

نشأ موسى -عليه السلام- في قصر حاكم مصر، ثمّ لمّا بلغ واشتدّ عوده، خرج من مصر إلى مدين بعد أن قتل مصريّاً - بعد أن ضربه لزرجه لا لإزهاق روحه - كان يتضارب مع إسرائيليّ. هناك، وبقي لسنوات⁽¹⁾، وتزوَّج من ابنة رجل مدياني.

حنّ موسى -عليه السلام- إلى أهله في مصر، فرجع مع زوجته إليها. وفي الطريق إليها أمره الله سبحانه عند جانب الطور أن يذهب إلى فرعون وملئه، وبعث معه أخاه هارون -عليه السلام-، عوناً له؛ لدعوة فرعون إلى الإيمان، وإطلاق بني إسرائيل

(1) عشر سنوات على الأرجح.

ليذهبوا مع موسى وهارون - عليهما السلام - .

لقي موسى وهارون - عليهما السلام - فرعون؛ فدَعَّاهُ إلى عبادة الله وحده، وأن يرفع أذاه عن بني إسرائيل، ويتركهم يعبدون الله حيث شاؤوا، وأظهر موسى -عليه السلام- أمامه الآيات العظيمة الخارقة، إلا أنَّ فرعون كَذَّبَ وطغى، واستمرَّ في إيذاء بني إسرائيل واضطهادهم. فيسَّر الله سبحانه لبني إسرائيل في هذه المحنة سبيل الخروج من مصر، وجعل لهم أرض البحر يَبْسًا، غير أنَّ فرعون تبعهم وجنوده؛ فأطبق الله سبحانه عليه البحر؛ فهلكوا.

طلب موسى -عليه السلام- من بني إسرائيل غزو أورشليم، إلا أنَّ بني إسرائيل جنبوا خوفًا من أهلها؛ فَكَتَبَ الله - سبحانه - عليهم التَّيَّةَ أربعين سنة لا يجدون مخرجًا. وفي أثناء التَّيَّة أكرمهم الله بالخوارق لحفظهم من الهلاك، لكنَّهم استمروا في إظهار الفساد. وقد مات موسى -عليه السلام- قبل انقضاء سنوات التَّيَّة كاملة.

وَرَدَتْ أهم تفاصيل قصَّة موسى وهارون - عليهما السلام - عند أهل الكتاب في سفر الخروج في الكتاب المقدَّس. والقصَّة مشابهة للخبر القرآني كثيرًا، وعامة الاختلافات في التفاصيل لا في مراحل تطوُّر القصَّة من ولادة موسى -عليه السلام- إلى التَّيَّة؛ فمن الاختلافات أنَّ الذي التقط موسى -عليه السلام- من الماء ابنة فرعون لا زوجته، وأنَّ الذي صنع العجل هارون -عليه السلام- لا السَّامريّ.

بعض الاختلافات بين القصَّتين لها وزن خاص في البحث الأركيولوجي في قصَّة موسى وهارون - عليهما السلام -، ستأتي الإشارة إليها لاحقًا.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لموسى وهارون - عليهما السلام -

قصة موسى وأخيه هارون - عليهما السلام -، في مصر وخارجها، غنيّة بالأحداث التاريخية، وكثير منها غير قابل للرصد الأركيولوجي؛ كوضع أم موسى ابنها في النهر بعد ولادته، وضرب موسى -عليه السلام- لأحد الإسرائيليين ضربة قتلته، ولقائه بابنتي رجل مدين، وزواجه من إحداهما، وذبحه البقرة في قصة النفس المقتولة في سورة البقرة، وقصة السبت واحتيال بني إسرائيل على أحكام الشرع، وقصة موسى -عليه السلام- مع الرجل الصالح في سورة الكهف، وإطعامه بني إسرائيل - بمعجزة - المنّ والسلوى... فإنّ حفظ هذه الأمور ليس من طبيعة السجلات التاريخية لمصر أو مدين أو غيرهما.

ونحن إذا نظرنا إلى قصة موسى وهارون - عليهما السلام - كما وردت في القرآن؛ نلاحظ أنّ فيها أحداثاً من الممكن أن توجد لها آثار تذكرها أو تشهد لها، وهي:

- حياة بني إسرائيل في مصر: قال تعالى: ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذِيبُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) (القصص / 3 - 4).

- تربية موسى -عليه السلام- في قصر فرعون: قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ إِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ فَكَلِّمِيهِ فِي السِّمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧) فَالْقَطْعُ: أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَقَالَتْ أُمُّ مُوسَى قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) (القصص / 7 - 9).

● ادّعاء فرعون الألوهية: قال تعالى: ﴿قَالَ لِيْنِ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لَآجَعَلَنكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء / 30).

● اضطهاد فرعون لبني إسرائيل، وقتل أبنائهم لئلا يتكاثروا: قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَخِصُّ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص / 4).

● تحدي موسى وهارون - عليهما السلام - لفرعون مصر على مشهدٍ من الناس: قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنْتَ جِئْتَ بِثَابِتَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٨﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١١٩﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٠﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢١﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَن ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٢﴾ لَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّن خَلْفٍ ثُمَّ لَأَقْطِعَنَّ أَفْئِدَتَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٣﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ

رَبَّنَا مُنْقِلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْكَ إِلَّا أَنْتَ ءَامَنَّا بِتَائِيَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ (الأعراف/ 104 - 126).

● الأوبئة التي أصابت المصريين: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ (الأعراف/ 132 - 133).

● انفلاق البحر، وهو حدث وإن كان معجزة؛ فقد شهده الجيش المصري:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿١١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿١٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الشعراء/ 61 - 66).

● رحلة التيه أربعين سنة، وإطعامهم المن والسلوى، وظهور الماء لهم: قال

تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ (المائدة/ 26).

● اختيار بني إسرائيل صنم العجل ليكون لهم إلهًا: قال تعالى: ﴿وَمَا

أَعَجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٢﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى

فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ ﴿طه/ 83 - 91﴾.

والناظر في الأخبار السابقة، يلحظ أنها في النظر التاريخي تنقسم إلى صنفين؛ أخبار عليها شواهد تاريخية، وأخرى لا شواهد عليها إلى الآن. وليس الأمر كما يقول دعاة خرافية قصة موسى - عليه السلام -، من أنها كلها محض خرافة.

المطلب الأول: أخبار لها شواهد تاريخية

الغالب على عامة علماء المصريات المعتمنين بقصة موسى - عليه السلام - في مصر الاعتقاد أنّ موسى - عليه السلام - قد عاش تحت حكم رمسيس الثاني (على الأقل فترة من حياته)⁽¹⁾. والناظر في قصة هذا النبي وقومه في ضوء ما نعرفه من التاريخ المصري القديم، سيلحظ أنّ لهذه القصة شواهد مباشرة وغير مباشرة من تاريخ هذه الأرض تلك الفترة.

أ. وجود بني إسرائيل زمن الفراعنة

اكتشف فلنדרز بيتري سنة 1896م لوحة تذكارية لفرعون مصر مرنبتاح بن رمسيس الثاني تعود إلى سنة 1210 ق.م، أو إلى ما بعد ذلك بقليل. وقد ذكر اسم «إسرائيل» في السطر السابع والعشرين من النص المنقوش على اللوحة.

هذه القصيدة منقوشة على لوحة تذكارية من الجرانيت الأسود، وقد أقيمت في معبد الملك الجنائزي، وعلى لوحة في معبد الكرنك كما يستدل على ذلك بقطعة وجدت هناك. وهي قصيدة مضمونها الفخر بالنصر الذي أحرزه الملك على الليبيين في السنة الخامسة من حكمه (1220 ق.م)، وما لحق عدوّه من خسائر، والرخاء

James K. Hoffmeier, *Israel in Egypt: The Evidence for the Authenticity of the Exodus Tradition*, p.126 (1)

الذي عمّ البلاد بعد هذا الانتصار؛ حتّى «الحيوان قد ترك جائلاً دون راع» في حين أنّ «أصحابهم يروحون ويغدون مُغنين، وليس هناك صياح قوم متوجّعين». وفي ختام القصيدة يُعدّد الشاعر القبائل أو الأقاليم التي أخضعها «مرنبّتاح»⁽¹⁾.

ونقرأ على هذه اللوحة النص التالي:

«يقول الرؤساء منطرحين أرضاً: السّلام

ولم يعد يرفع واحدٌ من بين قبائل البدو «تسعة الأقواس»⁽²⁾ رأسه.

والتحنو قد خربّت.

وبلاد خاتي أصبحت مسالمة.

وكنعان أُسرت مع كلّ خبيث.

وأزيلت عسقلان.

وجيزر قبض عليها.

وبنوام أصبحت لاشيء.

وإسرائيل خربت وليس لها بذر.

وخارو⁽³⁾ أصبحت أرملةً لمصر.

وكلّ الأراضي قد وجدت السّلم.

وكلّ من ذهبَ جائلاً أخضعه ملك الوجه القبليّ والبحريّ بنرع - محبوب - آمون.

ابن الشمس مرنبّتاح منشرح بالصدق.

مُعطي الحياة مثل رع كل يوم»⁽⁴⁾.

(1) سليم حسن، الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1940م)، 214 / 2.

(2) اسم قديم لأعداء مصر المجاورين لها.

(3) فلسطين.

(4) سليم حسن، الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، 218 / 2 - 219.

وقد كتب الأركيولوجي ويليام ديفر في تلخيص موقف النقاد من نص اللوحة: «يتفق جميع العلماء على أن التاريخ محدد في هامش أقل من خمس سنوات بحساب فلكي، وأنّ قراءة «إسرائيل» مؤكدة؛ وأنّ «إسرائيل» متبوعة بعلامة مصرية للأمم أو علامة محددة لـ «شعوب»، بدلاً من علامة مملكة أو دولة - مدينة أو ما شابه ذلك؛ وبالتالي فلا بدّ أنّ هذه العلامة متعلقة بتعيين مجموعة عرقية خاصّة؛ وأنّ هذا الكيان - أيّا كان - كان متميّزاً في أذهان المصريين عن الكنعانيين والحواريين والشاسو البدو أو غيرهم من الجماعات في كنعان المعروفة لدى المصريين والمذكورة في هذا النص وغيره من النصوص المصرية»⁽¹⁾.

علامة القوم الأجانب الموضوعة عند اسم إسرائيل



إنّا - إذن - أمام نص تاريخي قديم مثير:

- من العصر الافتراضي لموسى - عليه السلام -.
- يذكر كلمة إسرائيل.
- العلامة الموضوعة بجانب كلمة «إسرائيل» مختلفة عن العلامة الموضوعة للكلمات الأخرى، والتي هي علامة الدول أو البلاد الأجنبية؛ إذ وضعت «لإسرائيل» علامة هي صورة رجل وامرأة للدلالة على أن الحديث عن جماعة من الناس ليست لهم دولة؛ فلا أرض لهم يملكونها.

(1) William G. Dever, *What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It?*, p.118.

تعود هذه اللوحة إلى السنة الخامسة من حكم مرتتاح بن رمسيس الثاني. ويرى العلماء الذين ينتصرون للقول إنّ مرتتاح الفرعون الذي غرق في البحر أثناء مطاردة موسى - عليه السلام - وقومه - ومنهم إميلي شتاين، رئيس قسم المصريات في الجامعة العبرية -، أنّ هذه اللوحة تُذكر حال بني إسرائيل تحت حكم مرتتاح، وقبل الخروج؛ فهي مُخبرة عن وجود «إسرائيل» دون أرض لأهلها، وأنّ الفرعون قد نجح في قتل ذراريهم: إفناء بذرتهم (هو وأبوه من قبله)⁽¹⁾. وهو ما جاء في سورة البقرة/ 49: ﴿وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، وسفر الخروج 1/ 22: «ثُمَّ أَمَرَ فِرْعَوْنُ جَمِيعَ شَعْبِهِ قَائِلًا: «كُلُّ ابْنِ يُولَدُ تَطْرَحُونَهُ فِي النَّهْرِ، لِكِنْ كُلُّ بِنْتٍ تَسْتَحْيُونَهَا». ويرى الذين يقولون إن فرعون الخروج هو رمسيس الثاني مذهباً آخر في تفسير الإشارة إلى إسرائيل في اللوحة⁽²⁾.

وقد حاول التيار الأركيولوجي المتطرف التشكيك في أهمية هذا الشاهد على وجود إسرائيل ذاك الزمن؛ بالقول إنّنا أمام شاهد واحد لهذه الدعوى. والحق أنّ وجود شاهد واحد موثوق يكفي لإقامة الحجة أمام القضاء في إثبات مثل هذه الأمور. وكم من خبر عن الحضارات القديمة في بلاد الرافدين أو كنعان أو البلاد العربية يُسلم النقد لحجّيته بشاهد تاريخي واحد!

(1) Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh in the Bible, Qur'an and History* (Kuala Lumpur: Islamic Book Trust, 2008), p.94.

عبارة «إفناء البذرة» هنا، تماثل الحديث عن تدمير إسرائيل في نصب ميشع؛ فالمعنى الإثخان لا الإبادة. (2) انظر رشدي البدرائي، موسى وهارون عليهما السلام (قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الرابع) (القاهرة: د.ن، 1998)، ص 668 - 677.

لوحة مرنبتاح المتحف المصري بالقاهرة



اسم إسرائيل على لوحة مرنبتاح



ب. ادعاء فرعون الألوهية

لم تذكر التوراة ادعاء فرعون الألوهية، وخالفها القرآن في هذا الأمر، إذ ذكر ادعاءه الألوهية، وجعل ذلك أمرًا مركزيًا في قصة موسى -عليه السلام- وصراعه مع حاكم مصر. ويعترف الباحثون النصارى وغيرهم اليوم بصحة الخبر القرآني عن فرعون موسى -عليه السلام-؛ إذ تدلّ النقوش المصرية القديمة وغيرها على ادعاء

كثير من الفراعنة الألوهية، ومنها رمسيس الثاني.

يقول جون كورد - المتخصص في الدراسات التوراتية والأركيولوجيا - عن الفرعون في مصر: «اعتبره المصريون صاحب قدرة مطلقة بسبب تلك السلطات المنسوبة إليه. لقد حكم الأرض كإله، كابن لرع وتَجَسَّد له... وكاجتماع لآلهة مصر العليا والسفلى. نصب سح حتب رع من أبيدوس يأمر بعبادة الملك ني ماعت رع (أمنمحات الثالث، 1844 - 1797 قبل الميلاد) كإله:

اعبدوا الملك ني مات رع، حيًا إلى الأبد، داخل أجسادكم، وجلالته في قلوبكم.
إنه إدراك في قلوب الرجال،
وعيناه تفحص كل جسد.

إنه رع، الذي يرى الناس من خلال أشعته
هو الذي يُنير الأرضين أكثر من قرص الشمس....
هو الذي لا يكون إلا خلقه
لأنه خنوم⁽¹⁾ جميع الأجساد.

وصف المصريون فرعون بأنه أبدي، يستحق العبادة، وكلّي العلم؛ منح مصر الوجود والقوة. وعلموا الناس أنه كان «كا»: قوة حياة مصر وروحها. وكان تاج الأفعى يرمز إلى تأليهه وعظمته. عندما جعل موسى هارون يقذف ثعبان العصا أمام فرعون، كان يهاجم مباشرة رمز السيادة الفرعونية؛ لقد كان المشهد مليئًا بالسخرية. وعندما ابتلعت عصا هارون عصي السحرة المصريين، هوجمت ألوهية فرعون وقدرته المطلقة، ورفضت كليّة⁽²⁾.

(1) خنوم: إله عند المصريين القدماء، خلق الإنسان من طمي النيل.

(2) John Currid, *Ancient Egypt and the Old Testament* (Grand Rapids, Mich.: Baker Books, 1999), pp.93 - 94.

وقد ألف ليب حبشي (1984 - 1906) - عالم المصريات الكبير، صاحب الصيت في الأوساط العلمية في العالم - (وهو نصراني) كتابًا بعنوان: «Features of the deification of Ramesses II» في بيان مظاهر تأليه رمسيس الثاني كما تظهر في الآثار المصرية.

ولخص صاحب كتاب: «الآلهة والبشر في الشرق الأدنى القديم» حال دعوى ألوهية الفرعون عصر رمسيس الثاني، بقوله: «حمل رمسيس الثاني دعوى ألوهيته إلى مستوى آخر تمامًا... وَصَفَ نصب 410 في متحف هيلدسهايم⁽¹⁾ - ألمانيا - رمسيس الثاني بعبارة: «ملك مصر العليا والسفلى، ربّ الأرضين، رمسيس - مريآمون، الإله». لم يكتفِ رمسيس الثاني بإعلان نفسه ملكًا أو حاكمًا بأمر الإله، وإنما أعلن أنّه لا شيء غير «الإله»⁽²⁾.

نصب 410 في متحف هايلشيم



ت.الولع بالسّحر في مصر

جاء في القرآن والتوراة أنّ فرعون قد تحدّى موسى -عليه السلام-؛ بأنّ أحضر له السّحرة لمغالبتها. ولم يكن اختيار فرعون للسّحرة اعتباطاً؛ فقد كان أمر السّحر رائجاً في الثقافة المصرية القديمة على صورة واضحة، يحتفي به العامة والخاصة كثيراً. ومن ذلك ما جاء في بردية وستكار، أو قصّة خوفو والسّحرة؛ إذ يظهر فيها الفرعون «خوفو» مغرماً بقصص السحر. ومن قصص البردية التي تُروى للفرعون؛ قصة الكاهن «أوبا أونر» الذي لمّا علم خيانة زوجته مع شاب، صنع من الشّمع كهيئة

(1) Roemer - und Pelizaeus - Museum Hildesheim

(2) Tyson L. Putthoff, *Gods and Humans in the Ancient Near East* (Cambridge: Cambridge University Press, 2020), p.42.

التمساح، وألقاه في البحيرة؛ فبُثَّت فيه الروح بعد أن قرأ عليه الكاهن من تمتماته السحرية. ولما نزل عشيق الزوجة إلى الماء، أمسك به التمساح وغاص به إلى القاع، ثم أخبر الكاهن الملك بما كان من زوجته، وأخذه إلى البحيرة حيث أراه التمساح. وعند رؤية الملك للتمساح، ارتاع؛ فانحنى الكاهن ليلتقط التمساح الذي عاد مباشرة إلى حاله الأول، دُمِيَّة من الشَّمْع.

وجاء في البردية أيضًا ذكر قصة الساحر «ددي» الذي برع في السحر حتَّى إنه أوتي القدرة على أن يلحم الرأس المقطوع، ويذلّل الأسد لإرادته. وقد ذاع صيته حتى إنّ الفرعون «خوفو» استدعاه ليختبره؛ فقدم له إوَرَّة ثم ثورًا مفصولي الرأس؛ فردّ الرأس إلى بقيّة الجسد. ثم أعاد الفرعون اختبار ببطّة وثور مفصولي الرأس؛ فنجح مرّة أخرى في الاختبار⁽¹⁾.

ث. مدينة بر - رمسيس

تقوم دعوى خرافية شخصية موسى - عليه السلام - على أنّ التراث التوراتي - اليهودي عن موسى - عليه السلام - ومقامه في مصر، كلّ اختلاق متأخّر جدًّا، بعد قرون من عصر رمسيس الثاني.

والناظر في التوراة اليهودية يرى أنّ فيها بقايا تاريخية تشهد لتراثٍ قديم محفوظ من الألفية الثانية للميلاد. ومن أمثلة ذلك إخبار سفر الخروج 11 / 1 أنّ موسى - عليه السلام - قد وُلد في زمن حكم الفرعون الذي أمر ببناء مدينة رعمسيس ٥٥٥. والناظر في التاريخ يُدرك أنّ خبر مدينة بهذا الاسم كان مطوّياً في القرن الثامن قبل الميلاد وما بعده؛ فقد تحوّلت عاصمةُ شرق الدلتا قبل نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد من بر - رمسيس إلى تانيس، ولم تزدهر بر - رمسيس سوى 250 سنة (حوالي 1270 - 1120 ق.م)⁽²⁾؛ أي إنّ «بر - رمسيس قد غابت عن النصوص بعد الأسرة

(1) محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999)، 292 / 1 - 294.

(2) James K. Hoffmeier, *Ancient Israel in Sinai: The Evidence for the Authenticity of the Wilderness Tradition* (New York; Oxford: Oxford University Press, 2005), p. 57

العشرين ولم تعد إلى الظهور بعد غيبة طويلة إلا في القرن الثالث قبل الميلاد⁽¹⁾؛ بما يُثبت أنَّ القصة التوراتية لموسى -عليه السلام- ليست أثرًا عن جغرافيا القرن السابع قبل الميلاد أو ما بعده على دعوى أنصار مدرسة «الحد الأدنى»⁽²⁾. وهذا يتجلّى كثيرًا من خلال نصّ مزموّر 11 / 78 - 12 الذي يتحدث عن بني إسرائيل زمن موسى -عليه السلام-: «وَنَسُوا أَفْعَالَهُ وَعَجَّابُهُ الَّتِي أَرَاهُمْ. قَدَامَ آبَائِهِمْ صَنَعَ أُعْجُوبَةً فِي أَرْضِ مِصْرَ، بِلَادِ صُوعَنَ». وها هنا تحدّث صاحب المزمور الذي كتب بعد عصر داود -عليه السلام- في الألفية الأولى قبل الميلاد (والمنسوب لآساف)، عن صوعن المسمّاة تانيس Τάνεωσ [تانيس] عند اليونان⁽³⁾. ولا ذكر لصوعن في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى -عليه السلام- إلا مرة واحدة عابرة في سفر العدد 22 / 13. وسبب ذلك أنَّ تراث خبر موسى مرتبط بالقصة الأولى لما كانت بر - رمسيس هي العاصمة، وأمّا تانيس فقد صارت العاصمة زمن الأسرة الحادية والعشرين (1078 - 945 ق.م).

ج. اختيار بني إسرائيل لصنم العجل ليكون لهم إلهاً

جاء في القرآن والتوراة اليهودية أنَّ بني إسرائيل قد اتخذوا صنماً على صورة العجل إلهاً، قال تعالى عن قول بني إسرائيل لموسى -عليه السلام-: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلِنَكُنَّا حُمْلًا أَوْ زَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۝٨٧ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝٨٨ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۝٨٩﴾ (طه / 87 - 89).

وجاء في التوراة: «وَلَمَّا رَأَى السَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي التَّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ السَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمْ اصْنَعْ لَنَا إِلَهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لِأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلُ

Manfred Bietak, 'On the Historicity of the Exodus: What Egyptology Today Can Contribute to (1) Assessing the Biblical Account of the Sojourn in Egypt', in *Israel's Exodus in Transdisciplinary Perspective*, p.29.

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.256. (2)

V. H. Matthews, M. W. Chavalas & J. H. Walton, *The IVP Bible background commentary: Old Testament* (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2000), Ps 78:12 (3)

الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَتُونِي بِهَا». فَتَزَعَّ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ» (الخروج 32 / 1 - 4).

وبعيداً عن الخلاف بين القرآن وتوراة اليهود في تحديد من قام على صناعة العجل من حليّ بني إسرائيل (هارون - عليه السلام - أم السامري)؛ لنا أن نقول إن خبر عبادة بني إسرائيل صنماً على صورة عجل يحمل مصداقية تاريخية من جهة علاقة ذلك بمعبودات القوم الذين عاش بينهم بنو إسرائيل.

يقول عالم المصريات د. محمد بيومي مهران: «وليس هناك من ريب في أن هذا، إنما كان، مرة أخرى، من تأثير الوثنية المصرية على بني إسرائيل، ذلك أن عبادة العجل في مصر جدُّ عميقة الجذور، إذ ترجع إلى ما قبل عصر موسى بكثير، إلى أيام الأسرة الأولى حوالي عام ٣٢٠٠ ق. م، ثم استمرت حتى ظهور المسيحية وغلبيتها عليها، ويذهب «والتر إمري» إلى أن العجل كان في نظر القوم، رمزاً للقوة في الحروب، كما أنه رمز للإخصاب، في نفس الوقت، وأن عبادته بدأت منذ أيام الأسرة الأولى، اعتماداً على تصوير ملوك هذه الأسرة على هيئة ثيران، هذا وقد اشتهرت هذه العبادة باسم «مرور وعبي» (منفيس وأبيس في تصنيف اليونان) حيث عبد الأول في «أون» (عين شمس) رمزاً للإله الشمس رع، وعبد الثاني في منف مدينة بتاح، رمزاً للإله بتاح. وقد احتفظ المصريون في معبد بتاح بالعجل المقدس «أبيس»، دون أن تكون هناك علاقة ما بين الإلهين، على الأقل في العصور القديمة. كما أن «بتاح» لم يصوّر أبداً على هيئة ثور، ولم يعتقد أحد أنه تجسد في ثور، ولم يعتبر أبيس كروح للإله بتاح، إلا على أيام الدولة الحديثة، وإن كان هناك اعتقاد يجعل من «أبيس»، وكذا «منفيس» عجل أون، رسولين يقومان بتبليغ الرسائل إلى إلههما، وهو اعتقاد يرجع كذلك إلى

عهد الدولة الحديثة (١٥٧٥ - ١٠٨٧ ق. م.)^(١).

أبيس
متحف اللوفر، فرنسا



ح. التراث واللغة المصريّان

انتهى عالم المصريّات جيمس هوفماير في كتابه «إسرائيل القديمة في سيناء» إلى إثبات وجود عدد كبير من الكلمات المصرية القديمة في قصة موسى -عليه السلام-، خاصة ما تعلّق منها بالمظاهر المادية للعبادة في زمن التيه (خيمة العبادة...) ^(٢). وقد سبقته إلى ذلك كارول مايرز بقولها: «من الممكن إظهار أنّ عدّة خصائص للمعبّد المتحرّك، هي من الناحية الأركيولوجيّة واللغويّة، والتاريخيّة، ذات أصول في ثقافة الشرق الأدنى في آخر العصر البرونزي وبداية العصر الحديدي، عصر موسى ويوشع والقضاة» ^(٣). وكانت قد ذكرت أنّ خيمة الاجتماع אֶתֶּל מִזְבֵּחַ التي كانت مكان

(١) محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، في مصر (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م)، ص ٣٥١ - ٣٥٢.

(٢) James K. Hoffmeier, *Ancient Israel in Sinai: The Evidence for the Authenticity of the Wilderness Tradition*, pp.221 - 222.

(٣) Carol L. Meyers, 'The Elusive Temple,' *BA* 45, no. 1 (1982): 37.

العبادة في عصر التيه - كما وصلنا وصفها في التوراة - تحمل علامات التصميم والتكنولوجيا المصرية. وهو ما ذكره أيضًا مايكل هومان⁽¹⁾؛ بيانه أن خيمة الاجتماع توافق في شكلها وتفصيلها وزينتها خيمة الفرعون رمسيس الثاني في الحروب⁽²⁾. واستنتجت مايرز من ذلك أن هذا التأثير لا يمكن أن يُعزى إلا إلى آثار عصر تال مباشرة للعصر الذي ذَكَرَ النقاد أنه زمن خروج بني إسرائيل من مصر⁽³⁾. وجمع الناقد التوراتي غاري رندزبورغ⁽⁴⁾ قائمة من العناصر المنسوبة إلى التراث المصري في قصة الخروج. وانتهى إلى أن القصة في سفر الخروج 15 / 1 «تُظهر بشكل متكرر الإلمام بالتقاليد المصرية»⁽⁵⁾. كما رجّح المؤرّخ أبراهام مالامت⁽⁶⁾ - في ورقة قدّمها في جامعة براون الأمريكية سنة 1992 - تاريخيّة قصّة الخروج؛ في ضوء التشابهات مع التراث المصري القديم⁽⁷⁾. ووافقه النتيجة نفسها الناقد الهولندي يوهانس دو مور⁽⁸⁾ بالاعتماد على النصوص نفسها.

ومن المشابهات المتميّزة خارج قصّة الخروج، ما جاء في أمر صناعة اللبن⁽⁹⁾؛ إذ تُخبرنا التوراة أن المصريين قد ألزموا بصناعة اللبن (خروج 14 / 1)، وأنهم قد

(1) مايكل هومان Michael Homan (1966): ناقد أمريكي. درّس التوراة والعبريّة وديانات الشرق الأدنى في Xavier University. له اهتمام بالبحث الأركيولوجي.

(2) Michael Homan, *To Your Tents, O Israel!* (Leiden: Brill, 2002), pp. 111-115.

(3) Ibid.

(4) غاري أ. رندزبورغ Gary A. Rendsburg (1954 -): أستاذ اللغة العبرية واليهوديّة القديمة في Rutgers University، في نيو جيرسي بأمريكا.

(5) Gary Rendsburg, "Moses the Magician," T.E. Levy, T. Schneider and W.H.C. Propp, eds. *Israel's Exodus in Transdisciplinary Perspective: Text, Archeology, Culture and Geoscience* (Cham, Switzerland; New York: Springer, 2015), pp. 243-256.

(6) أبراهام مالامت Abraham Malamat (1922 - 2010): أستاذ التاريخ اليهودي في الجامعة العبريّة. له اهتمام خاص بعلاقة التوراة بتراث الشرق الأدنى القديم، ونشأة إسرائيل.

(7) نُشر ذلك لاحقًا في:

Abraham Malamat, *The History of Biblical Israel* (Leiden: Brill, 2001).

(8) يوهانس دو مور Johannes de Moor (1935): أستاذ اللغات الساميّة وثقافات الشرق الأدنى القديم في جامعة أمستردام اللاهوتية البروتستانتية.

(9) Bricks.

اشتكوا من منعهم من التبن عند صناعته (خروج 5/ 6 - 16)، وأنهم قد أُلزِموا بعدد يومي من اللبن المطلوب (خروج 5/ 18 - 19). وفي ذلك يقول باروخ هالبرن: «تعكس صناعة الطوب كما هي مذكورة في قصّة الاضطهاد، وجود معرفة جيّدة بالظروف في مصر. تصوّر لوحة قبر من القرن الخامس عشر الأسرى الكنعانيين والنوبيين وهم يصنعون الطوب اللبن في طيبة. ويشكو نصّ من ندرة التبن لصناعة الطوب. وهو الوضع الذي واجهته إسرائيل في مصر. في المقابل، لم يكن التبن في كنعان بشكل موحد أحد مكوّنات طوب اللبن. تعكس كلّ التفاصيل - تقريباً - في التراث أحوال مصر في ظلّ حكم الأسرة 19»⁽¹⁾.

لا تثبت التشابهات السابقة - بصورة مباشرة - صدق الخبر التوراتي لقصة موسى عليه السلام، وإنّما تُظهر وجود إطار مصري قديم للخبر التوراتي؛ بما يُضعف القول إنّ قصة موسى عليه السلام في مصر من صناعة عصر قريب من السبي.

المطلب الثاني: أخبار لا شواهد تاريخية لها

يعترض المنكرون لتاريخيّة موسى - عليه السلام - على الخبر القرآني أنّ القصة القرآنيّة مواجهة بصمت التاريخ المصري القديم. وهو صمت يدفع إلى إنكار صدق ما جاء فيها من تفاصيل.

ولإنصاف البحث؛ فلن نكتفي بالحديث عن قصور الاستدلال بالصمت للنفي في البحث التاريخي، وإنّما سنناقش المسائل التي ينفى فيها المنكرون لتاريخيّة موسى - عليه السلام - وقومه، أو يستنكرونها تاريخيّاً. وهي أساساً:

- o تربية موسى - عليه السلام - في قصر فرعون.
- o اضطهاد الفرعون لبني إسرائيل، وقتل أبنائهم لئلا يتكاثروا.
- o الضربات التي أصابت المصريين: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم...

(1) Halpern, "The Exodus and the Israelite Historians", *Eretz Israel*, 1992, 92.

- o الخروج من مصر بعد انفلاق البحر.
- o رَحْلَةُ التَّيِّهِ خارج مصر أربعين سنة.
- o كما تطرح قصّة ميلاد موسى -عليه السلام- سؤال اقتباسها من أسطورة ميلاد سرجون.

أ.صمت الآثار

لا يتصوّر مُنْصِفٌ أَنَّ قصّة قِلَّةٍ مُسْتَضْعَفَةٍ في مصر، هاجرت في زمن طاغيةٍ مُتَأَلِّهِ، منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة، ستترك بصماتها في مباني مصر أو سيناء.. ولذلك فغياب شواهد هذه القصّة (اسم موسى -عليه السلام-، ومواجهته لفرعون، وخروجه وقومه من مصر، وانفلاق البحر...) في الآثار العمرانية، أمر متوقّع. وأما رفض كثير من الأركيولوجيين أصالة القصّة؛ فليس لأنّهم قد اكتشفوا أنّها لا تصحّ، وإنّما لغياب الدليل المباشر على وقوعها.

والأنّاة تقتضي دراسة القصّة في ضوء ما احتفّ بها من أحوال، مع مراعاة طبائع الزمان والثقافات:

أَوَّلًا: التاريخ المصري ليس أَمِينًا في ذكر أخبار العصر؛ فإنّ المنقوشات الأثرية - رغم كثرتها وتنوّعها - ليست على طريقة السرد التاريخي المعروف في كتب المؤرخين المتأخرين، وإنّما هي سردياتٌ - في أغلبها - قد نُقِشت لتمجيد الفرعون، وسرد بطولاته. وتكرّر فيها أخبار فتوحات الفرعون، وقوته، وكرمه، وعدله، ومبانيه التي بناها للآلهة، وتقدماته لهم.

وقد يبلغ الأمر في التعامل مع الأحداث، الكذب أو التدليس؛ صيانةً لِشَمْعَةِ الفرعون ممّا شابها على الأرض من سوءٍ؛ ومن ذلك أنّه بعد معركة قادش (1274 ق.م) احتفى رمسيس الثاني بالمعركة وكأنّه قد حقّق نصرًا عسكريًا عظيمًا، فأكثر من ذكر أخبار المعركة في نصوص طويلة على جدران المعابد،

رغم أنه في الحقيقة لم يأخذ قادش، وعانى بعض الهزيمة أثناء المعركة، وكاد يُقتل فيها⁽¹⁾.

كما تظهر المبالغة والكذب في الآثار المصرية في مواضع أخرى، ومنها ما نقرأه على نصب سفنكس أمنتب الثاني، على لسان هذا الفرعون: «أمرني [آمون رع] أن استولي على كل الأراضي دون هزيمة... كل البلاد الأجنبية تحت قدميه». ولا يخلو نصب مرنبتاح الثاني الشهير هو أيضاً من مبالغات⁽²⁾.

ومما يؤيد الحرج من ذكر هزائم الفرعون، ظاهرة غياب أسماء أعداء الفرعون في عصر المملكة الحديثة التي عاش أثناءها موسى -عليه السلام-. والشواهد على ذلك كثيرة. منها أن حملة تحتمس الثالث ضد تحالف الثائرين في مجدو، لم تذكر اسم ملك قادش، واكتفت بتسميته بـ«ذاك العدو البائس القادشي» أو «ذاك العدو البائس» كما في حوليات تحتمس الثالث وفي نصب جبل بركل في الخرطوم. وفي نصب أمنتب الثاني في ممفيس، جاء ذكر حملات أدوم وكنعان وسوريا، وهزيمة الملوك أو قتلهم، دون ذكر لأسمائهم. وقد تكرر هذا الأمر في عصر رمسيس الثاني رغم ثراء المادة التاريخية في آثاره الواسعة؛ فعادة ذكر ملوك الأعداء وقادتهم في تلك الفترة، هي وُصفهم أنهم «قادة أرض كذا» أو «القائد البائس لقوم كذا»⁽³⁾.

ولذلك يقول ريتشارد فروند - أستاذ التاريخ اليهودي، والأركيولوجيا الكتابية، والمشرف على عدد كبير من الحفريات الأركيولوجية -: «ليست قصة الخروج نفسها هي التي تثير الجدالات عند علماء الأركيولوجيا الكتابية. إن الأمر هو أنه ليس لدينا مادة مقارنة من الأدلة الأركيولوجية لمناقشة الدقة التاريخية لهذه القصة. عندما كنت طالباً قبل حوالي ثلاثين عاماً، كانت الأسئلة حول الخروج قد بدأت تردني... درستُ فيما بعد الحضارة المصرية القديمة بتفصيل كبير، واقتنعت بأن المصريين

(1) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.470

(2) James K. Hoffmeier, *Israel in Egypt: The Evidence for the Authenticity of the Exodus Tradition*, p.41.

(3) *Ibid.*, p.109 - 110

كانوا مثل النظام الستاليني في الاتحاد السوفياتي السابق، مهتمين بالتحكم في تدفق المعلومات، وأنه كان لديهم منظور شامل حول تاريخهم التراكمي، وكانوا بالفعل خبراء في العلاقات العامة... بالإضافة إلى ذلك، وكما هو الحال مع العديد من الشعوب الأخرى في العصور القديمة، فإن التاريخ المسجل للمصريين كان تاريخ النخبة من المصريين الأصليين، واستثناء أي «أجانب/ شعوب» سكنت مصر على وجه الخصوص. لذلك تعلّمت الدرس الأول من البحث عن التاريخ في شواهد التاريخ المصري. احذر ممّا تجده وممّا لا تجده»⁽¹⁾.

ولا يبقى لنا - تقريبًا - إلا أن نبحت في البرديات التي قد تحفظ لنا خبر الصراع مع موسى -عليه السلام-، وخروج بني إسرائيل؛ فقد يُرجى أن تؤرّخ لبعض أحداث العصر بعيدًا عن لغة التمجيد الرسميّة على المعابد والقصور.

ويسعفنا عالم المصريات جيمس هوفماير بالجواب السريع، في قوله: «لم تقدّم لنا دلتا النيل حيث يقول الكتاب المقدس إنّ الإسرائيليين القدماء عاشوا أيّ وثائق تاريخية أو إدارية قد تسلط الضوء على أي فترة»⁽²⁾.

وبعبارة أكثر تفصيلًا، يقول عالم المصريات الكبير كنت كشن في ردّه على الذين يعجبون من الجمع بين الإيمان بوجود بني إسرائيل في مصر وغياب ذكرهم في الآثار المصرية: «بخصوص تحديد موقع العبرانيين الذين تم ذكرهم في الكتاب المقدس وتحركاتهم على الأرض في مصر، فنحن محدودون بمنطقة شرق الدلتا من الناحية الجغرافية.

تفرض هذه الحقيقة حدودًا شديدة على كل تساؤل في الموضوع. الدلتا هي مكان مليء بالطمي المترسّب هناك عبر آلاف السنين بواسطة فيضان النيل سنويًا، وليس بها مصدر حجري. إنها طين، طين وتعرّشات، وأبنية من الطوب المصنوع من الطين، وهي ذات استمرارية واستعمال محدودين، وتُهدم وتُستبدل تكرارًا،

Richard Freund, *Digging through the Bible: modern archaeology and the ancient Bible* (Lanham, (1) Maryland: Rowman & Littlefield, 2010), p.56.

James K. Hoffmeier, 'Out of Egypt,' *Biblical Archaeology Review* 33.1 (2007): 30-37, 39-41. (2)

وكثيراً ما تختلط بطين الحقول، لذا فهو لاء الذين يجعجعون من وقت لآخر: «لم يُعثرَ على آثار للعبرانيين أبداً» (وبالتالي فلا خروج بالطبع!)، يُضيّعون أنفاسهم بلا طائل؛ فإنّ الأكواخ الطينيّة لعبيدِ حقولِ الطوب والمزارعين المتواضعين مرّ عليها الكثير منذ عادت لأصولها في الطين، ولن تُرى ثانية أبداً. حتى المباني الحجرية التي نجت (مثل المعابد)، في تباين مذهل مع المواقع في الوادي المحاط بجرف صخري في وادي صعيد مصر في الجنوب. الحجر كلّهُ نُقِلَ قديماً بالسّفن من الجنوب، ويعاد استخدامه من فترة لأخرى مراراً وتكراراً. وهكذا أُعيد استخدام الكتل التي تخصّ الأسرة الثامنة عشرة في معابد رمسيس، ومعابد الرّعامسة أُستبدلت تحت الأسرات التالية بكثرة، بعد إعادة استخدام الأحجار مرة أخرى، وخلال حقبة الأسرة 26، والحقبة البطلميّة، والرومانية البيزنطية، والإسلامية تكرّرت العملية. وفي القرون الأكثر حداثة، يحرق الحجر الجيريّ على مستوى واسع للحصول على الجير، أمّا الأحجار الأكثر صلابة فغالباً ما يعاد استخدامها كأحجارٍ رحي أو أي شيء آخر. القليل من العجب، أنه من الناحية العمليّة لم تُسترجع أيّ سجلات مكتوبة عن أي شيء من مواقع الدلتا التي تحولت إلى خرب وتلال من الطوب (وأزيل طوبُها نفسه لتحويله إلى سَمادٍ، سباح)، حتى المعابد الضخمة تحولت إلى كومة من الأحجار المتداعية. وفي الطين، 99 ٪ من البردي المهمل قد فنيَ إلى الأبد، فيما جزءٌ صغير جدّاً يرجع لتاريخ متأخّر، عُثرَ عليه مُكرَّباً (متفحّماً). مثلما حدث في بومبي. ولكن يمكن فقط فتحها وقراءتها بصعوبة شديدة. فأجزاء ضئيلة للغاية من تقارير شرق الدلتا، تقع في برديات أُنقِذت من الصحراء قرب منف. بخلاف ذلك، فسجلات مصر الإدارية كلّها في الفترات كلّها في الدلتا مفقودة، والنصوص التذكارية هي أيضاً شبه منعدمة. ولأنّ الفراعنة لا يخلّدون أبداً ذكرى الهزائم على جدران المعابد، فلا يوجد أبداً سجلٌ لأيّ ملك عن خروج ناجح لجماعة كبيرة من العبيد الأجانب

(مع فقدان سرب كامل من المركبات)، في معابد الدلتا أو في أي مكان آخر، بخصوص تلك الأمور»⁽¹⁾.

وأجاب كتشن عن غياب ذكر الإسرائيليين باسمهم؛ بقوله: «لقد وُصِفَتْ شعوب بلاد الشام في مصر بشكل عام ببساطة على أنهم «آسيويون»، وليس بحسب انتماءاتهم الخاصة. هؤلاء الناس لم يكن لهم مكان في مشاهد المعبد، ما لم يكن قد تم غزوهم خارج مصر... هؤلاء الناس ليس لهم مكان في مشاهد المقابر أيضًا، ما لم تخصّ أسرة مالك المقبرة الشخصية... فقط عندما يتمّ التعامل مع حالة منفردة، فإنّه يتمّ إعطاء أي تفاصيل أخرى؛ مثلًا، رجلٌ سُوريّ، يُدعى ناكادي من أر(ف)اد في بردية بولونيا 1086»⁽²⁾.

ثانيًا: لفت موريس بوكاي - الذي يرى أنّ فرعون الخروج هو مرتبّاح بن رمسيس الثاني - في كتابه «موسى وفرعون في الكتاب المقدس والقرآن والتاريخ» النظر إلى أنّنا لا نملك اليوم وثائق تعود إلى السنوات الأخيرة من حكم مرتبّاح، وأنّه في عشرين سنة من تاريخ مصر بدءًا من السنوات الأخيرة من حكم مرتبّاح، عرفت مصر فوضى كبيرة، مع صعود حاكم جديد واغتيالات⁽³⁾؛ بما يُظهر أنّنا أمام «تاريخ غامض» و«فوضى» قد توحى بحدث أو أحداث غير مألوفة. وذلك يجعل جَهْلَنَا بقصّة الخروج من مصر بعد غرق الفرعون، أمرًا يتّفق مع الطبيعة التاريخية لتلك الفترة.

ثالثًا: طبيعة القصة ليست من جنس الأمجاد المختلقة؛ إذ إنّ شخصية موسى -عليه السلام- هي الشخصية الأعظم في قصص التوراة، ومع ذلك لم تُظهر التوراة قصّته في صورة الأساطير القديمة، وإنّما أظهرت قصّة أمّة مُسْتَعْبَدَةٍ في مصر،

(1) ك.أ. كتشن، مصداقية العهد القديم، تعريب باسم الشرقاوي وأمير سامي (مصر الجديدة: باناريون، 2019)، ص 418 - 419.

(2) المصدر السابق، ص 777.

(3) Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh in the Bible, Qur'an and History*, pp.88 - 89.

ونبيّ مُطارِد، وخروج أمة مهْددة بالقتل دون أن تنتصر عسكرياً على الفرعون، ثم متاعب متكررة لهذا النبي مع قومه، وأعظمها قضاء الله عليهم بالتيه في أرض بلا ملامح، وموت موسى -عليه السلام- أثناء ذلك، دون أن يدخلوا الأرض المباركة التي وُعدوها. إنّ قصة الاستضعاف والخروج والتيه لا تشابه الشكل النموذجي للقصص الأسطوري.

ولا يبدو موسى -عليه السلام- في صورتيه القرآنية والتوراتية اليهودية شخصية من جنس أبطال الأساطير؛ فهو بشر، تعثره أعراض البشر من الخوف والغضب، ويحتاج مساعدة أقرب الناس إليه، ويسوءه عجز قومه عن الوفاء لحقوق الرسالة السماوية. شخصية موسى -عليه السلام- القرآنية والتوراتية اليهودية تحمل ملامح الواقعية التاريخية.

رابعاً: الناظر في الرواية التوراتية، يُدرك أنّ فيها دلالات على تاريخ قديم محفوظ أبعد من الألفية الأولى قبل المسيح، ومنها الكلمات المستعارة من المصرية في قصة موسى -عليه السلام-؛ فإنّ القصّة التي ترد من ثقافة مختلفة لها لغتها المختلفة قد ترك أثرها في ألفاظها المقترضة من جغرافيا بيئة القصة الأصل، وهو أمر غير متصوّر في قصّة مختلفة كليّة لا يربطها شيء بالأصل القديم المزعوم، خاصة إذا تناءت الديار وبُعد الزمان.

وقد لاحظ بنجامين نونان أن هناك 27 كلمة مصرية مستعارة في روايات الخروج والتيه في البرية في قصّة موسى -عليه السلام-، مقارنة بواحد وخمسين كلمة مصرية مستعارة فقط في بقية العهد القديم العبري.

وطرح ريتشارد فريدمان سؤالاً قد يرد في ذهن المعارضين، وهو أنّ الكتاب اليهود المتأخرين قد أرادوا خداعنا لإثبات أصالة القصّة بذكر أسماء مصرية فيها؛ فكتبوا سفر الخروج، ووضعوا فيه أسماء مصرية من عندهم. وأجاب بجواب ذكيّ، وهو لفت انتباه القارئ إلى خطأ كاتب سفر الخروج في شأن معنى اسم

موسى عليه السلام⁽¹⁾؛ فإنه قد جاء فيه أن اسم موسى بمعنى «المتشَل»⁽²⁾.
لقد حاول صاحب⁽³⁾ سفر الخروج أن يفسر اسم «موسى» بالعبرية؛ فأخطأ من وجهين؛ إذ زعم أن «موشي» «7777» كلمة عبرية تعني «متشَل». والصواب أن «موشي» تعني «متشَل» لا «متشَل». وزعم أن اسم موسى عبري، ولكن الإجماع العلمي اليوم على أنه اسم مصري⁽⁴⁾، وذاك كاشف أن صاحب سفر الخروج كان يتعامل مع تراث قديم، لم يخترع أهم معالمه، وإنما اجتهد ليفك مغاليقه. ومن معالم هذا التاريخ طابع مصرية بعض الأسماء⁽⁵⁾، ومن ذلك اسم بطل رواية الخروج⁽⁶⁾.
كما قام نونان أيضًا بتحليل العديد من اللغات والنصوص السامية الشمالية الغربية وخلص إلى أنها تفتقر عمومًا إلى المصطلحات المصرية، بما يظهر أن العدد الكبير من الكلمات المستعارة من المصرية في روايات الخروج والبرية، ظاهرة شاذة في

(1) Richard Friedman, *The Exodus: how it happened and why it matters*, pp.33 - 34.

(2) «فَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتْ ابْنًا. وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ، حَبَّأَتْهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنَهَا أَنْ تُحَبِّثَهُ بَعْدُ، أَخَذَتْ لَهُ سَفَطًا مِنَ الْبُرْدِيِّ وَطَلَّتْهُ بِالْحَمَرِ وَالزَّفْتِ، وَوَضَعَتْ الْوَلَدَ فِيهِ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحُلَفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. وَوَقَفَتْ أُخْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ لِتَعْرِفَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ. فَزَلَّتْ ابْنَتُهُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَائِثَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتْ السَّفَطَ بَيْنَ الْحُلَفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أَمَتَهَا وَأَخَذَتْهُ. وَلَمَّا فَتَحَتْهُ رَأَتْ الْوَلَدَ، وَإِذَا هُوَ صَبِيٌّ نِيكِي. فَفَرَّقَتْ لَهُ وَقَالَتْ: «هَذَا مِنْ أَوْلَادِ الْعِبْرَانِيِّينَ». فَقَالَتْ أُخْتُهُ لَابْنَةِ فِرْعَوْنَ: «هَلْ أَذْهَبُ وَأَدْعُو لَكَ امْرَأَةً مُرْضِعَةً مِنَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لِتَرْضِعَ لَكَ الْوَلَدَ؟» فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «أَذْهَبِي». فَذَهَبَتِ الْفَتَاةُ وَدَعَتْ أُمَ الْوَلَدِ. فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «أَذْهَبِي بِهِذَا الْوَلَدِ وَأَرْضِعِيهِ لِي وَأَنَا أُعْطِي أَجْرَتَكَ». فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الْوَلَدَ وَأَرْضَعَتْهُ. وَلَمَّا كَبُرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتْ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ» (خروج 2/ 10 - 19).

(3) أو أصحاب!

(4) R. Laird Harris, Gleason L. Archer, Jr., Bruce K. Waltke, eds., *Theological Wordbook of the Old Testament* (Chicago: Moody Publishers, 2003), p. 530.

(5) من هذه الأسماء المصرية:

«مراري» (William Propp, *Exodus 1-18, The Anchor Bible*, New York: Doubleday, 1998, p. 276).

«حنفي» و«فينحاس» (Donald Redford, *Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times*, Princeton, NJ: (Princeton University Press, pp. 417-419).

«حور» (Ernst Axel Knauf, «Hur», *Anchor Bible Dictionary*, vol. 3, p. 334).

(6) تناولت فساد التحليل اللغوي لأصل أسماء الآباء وكثير ممن جاء بعدهم في التوراة في كتاب: العلم وحقائقه، بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل (الكويت: مركز رواسخ، 2021م)، ص 368 - 387. وذاك يدل أن أصحاب الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام قد تلقوا أسماء الشخصيات الرئيسة لتاريخهم الديني ولم يختلقوها من عندهم.

السامية الشمالية الغربية⁽¹⁾؛ بما يمثل قرينة قويّة أنّ هناك ظرفاً تاريخياً معيّناً ومهمّاً في تاريخ أهل اللغة العبرية قد أدّى إلى هذا الأمر⁽²⁾.

ب. تربية موسى - عليه السلام - في قصر الفرعون
يَعَجَّبُ بعضهم من أمرِ تربية الفرعون المتألّه، طفلاً من غير نسله، من أمة أجنبيّة. والحقّ إنّ خبر تربية موسى - عليه السلام - في قصر الفرعون ليس مُنكَراً من الناحية التاريخية؛ لسببين:

أولاً: لا يُشترط لقبول تاريخيّة تربية موسى - عليه السلام - في قصر الفرعون أن يكون ذلك من عادة الفراعنة؛ فإنّ الخبر القرآني يقدّم سبباً استثنائياً لتبني موسى - عليه السلام -، وهو أنّ زوجة الفرعون قد وقع في قلبها حبّ هذا الوليد، ولعلّ ذلك لأنّها لم تكن قد أنجبت (بعد): ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَّ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩) (القصص / 9). وقد كان لزوجات رمسيس الثاني مكاناً رضيعاً في قلبه، سواء إست (آسية) - التي لقّبت في النقوش بالممّجة، وسيدة نساء الملك - أو نفر تاري.

ثانياً: كان من عادة الفراعنة زمن المملكة المصرية الحديثة تربية أبناء غير مصريين؛ فقد أسّس تحتمس الثالث عادة استقدام أبناء الأمم المهزومة لتربيتهم في مصر ليكونوا لاحقاً حكاماً في قومهم مخلصين للفرعون. وكشف بحث لبتي براين أنّ عدة أطفال يحملون أسماء أجنبية قد ترقّوا في وظائف الدولة إلى مراتب عالية⁽³⁾.

ت. تعبيد بني إسرائيل
يُنكر بعض القائلين بخرافية قصّة موسى - عليه السلام - ذكر التوراة استعباد فرعون بني إسرائيل: «فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنفٍ، وَمَرَّرُوا حَيَاتَهُمْ بِعُبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ

(1) أهم اللغات السامية الشمالية الغربية: العبرية والآرامية القديمة والأوغاريتية.
(2) Benjamin Noonan, 'Egyptian Loanwords as Evidence for the Authenticity of the Exodus and Wilderness Traditions,' in James K. Hoffmeier, al., eds. "Did I Not Bring Israel Out of Egypt?" : Biblical, Archaeological, and Egyptological Perspectives on the Exodus Narratives (Winona Lake: Eisenbrauns, 2016), pp.61 - 61.

Betsy Bryan, *The Reign of Thutmose IV* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1991), p.261. (3)

فِي الطِّينِ وَاللَّبْنِ وَفِي كُلِّ عَمَلٍ فِي الْحَقْلِ. كُلُّ عَمَلِهِم الَّذِي عَمِلُوهُ بِوَاسِطَتِهِمْ عُنْفًا» (خروج 1/ 13 - 14). وهم في هذا يقولون إنه لا يوجد دليل على استعباد المصريين لأي من الأمم الأخرى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

والناظر في القرآن؛ لا يجد في آياته تصريحًا يذكر استعباد الفراعنة بني إسرائيل، وإنما في القرآن خبر استضعاف بني إسرائيل وإذلالهم، وقتل أبنائهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة/ 49)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص/ 4).

وأما ما جاء في القرآن من قول موسى عليه السلام لفرعون: ﴿وَلَكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (الشعراء/ 22)، فليس قاطعًا في اتخاذ بني إسرائيل رقيقًا. فالتعبيد هنا، قد يفهم بمعنى التسخير. قال مجاهد التابعي (ت 104 هـ) في تفسير الآية: ﴿تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قهرتهم واستعملتهم⁽¹⁾. وقال ابن جريج (ت 150 هـ): «قهرت وغلبت واستعملت بني إسرائيل»⁽²⁾. ولذلك قال الماوردي (ت 450 هـ) في تفسيره للآية: «وفي التعبيد وجهان: أحدهما: أنه الحبس والإذلال، حكاه أبان بن تغلب. الثاني: أنه الاسترقاق»⁽³⁾.

وبعيدًا عن مناقشة صحة استرقاق المصريين لغيرهم⁽⁴⁾، نقول: استضعاف بني

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (دار هجر، 1422 هـ / 2001 م)، 17 / 560.

(2) المصدر السابق، 17 / 561.

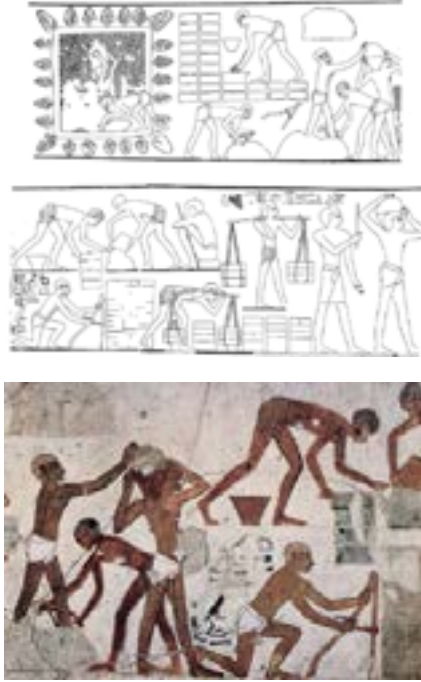
(3) الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 4 / 168.

(4) ظاهرة الاستعباد معروفة في مصر. ومن شواهدنا نص هيروغليفي على قبر أحسن الأول يتحدث عن طرد الهكسوس من طرف جند الفرعون: «وغممت من هناك رجالاً وثلاث نساء، بما مجموعه أربعة أشخاص. ثم وهبهم لي جلالة عبيداً». (James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.333).

والحق أن الاسترقاق قد انتعش عصر رمسيس الثاني والفراعنة الذين كانوا قريبين من زمن حكمه؛ فقد ذكرت «الموسوعة التاريخية للاسترقاق العالمي» أن عصر المملكة المصرية الجديدة (1560-1070 ق.م) كان الأكثر ازدهارًا في تاريخ الاسترقاق في مصر، وأنه رغم الإقرار بوجود مبالغ في النقوش حول عدد من تم استرقاقهم، إلا أن ذلك لا يمنع من الإقرار أن عدد الرقيق الذين تم جلبهم من خارج مصر بلغ عشرات الآلاف (Junius P. Rodriguez, *The Historical Encyclopedia of World Slavery*, Santa Barbara, Calif. ABC-Clio, 2000, p.1/243).

إسرائيل؛ ليس من الأمور المنافية لطبيعة العصر؛ فإن المملكة المصرية الحديثة قد اشتهرت بغزواتها العسكرية شمالاً في كنعان وجنوباً في النوبة. وقد كان يُؤتى بكثير من الأسرى من البلاد المهزومة. وقد عُرضت بعض مشاهدهم في القبر الفخم لرخميرع - وزير تحتمس الثالث وأمنحتب الثاني - . وفي الصور المحفوظة يظهر المشرفون على البناء من المصريين وهم يحملون عصيًا، ومعهم العمال الأجانب الذين يصنعون الطوب الطيني ويجرّونه إلى حيث بناء المعبد الجديد. ويذكر النص المصاحب لهذه الصور أنّ هؤلاء العمال قد جيء بهم من كنعان - سوريا والنوبة بعد الحملات العسكرية التي كانت هناك⁽¹⁾.

صور صناعة الطوب في مقبرة رخميرع⁽²⁾



(1) Hoffmeier, James K. "Out of Egypt," *Biblical Archaeology Review* 33.1 (2007): 30-37, 39-41.
(2) James Hoffmeier, 'The Exodus and Wilderness Narratives,' in *Ancient Israel's History: An Introduction to Issues and Sources*, eds., Bill Arnold and Richard Hess (Grand Rapids, MI: Baker, 2014), p.51.

كما جاء في بردية (Leiden 348) أنّ «العبير... يجرون الحَجَر إلى الصرح العظيم...» لبناء قصر. وبعيداً عن جدال العلماء في المطابقة بين العبير والعبرانيين تاريخياً، يبقى أنّ هذه البردية التي تعود إلى عصر رمسيس الثاني، تشهد لتسخير غير المصريين لخدمة المصريين⁽¹⁾.

ث. الضربات

يُجادل المخالفون في صدق قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَّا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَخِ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفْضَلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣) (الأعراف/ 130 - 133).

هذه العقوبات التي أصابت مصر أو الأرض التي عاش فيها فرعون داخل مصر

هي:

- قلة مياه الشرب والزرع.
- ضعف المحاصيل الزراعية بسبب قلة الماء أو الأمراض التي تصيب الزرع.
- الطوفان بفيضان النيل بما يهلك البيوت والأرض والزرع.
- الجراد الذي يفسد المحاصيل الزراعية.
- القمل الذي يفسد الحرث أو ينغص على الناس معاشهم.
- الضفادع التي تفسد عليهم مياه الشرب، وتغزو بيوتهم؛ فتكدّر صفوهم.
- الدّم الذي يظهر في مياه الشرب.

وقد جاء أمر هذه العقوبات في سفر الخروج 7 - 11 (ما يُعرف بضربات مصر

מכות מצרים) على صورة تشابه بعض ما في الخبر القرآني:

(1) Hoffmeier, "Out of Egypt," *Biblical Archaeology Review* 33.1 (2007): 30-37, 39-41.

- الدَّم الذي أهلك ما يعيش في الأنهار والمياه: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: بِهَذَا تَعْرِفُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ: هَا أَنَا أَضْرِبُ بِالْعَصَا الَّتِي فِي يَدِي عَلَى الْمَاءِ الَّذِي فِي النَّهْرِ فَيَتَحَوَّلُ دَمًا. وَيَمُوتُ السَّمَكُ الَّذِي فِي النَّهْرِ وَيَبْتِنُ النَّهْرُ. فَيَعَافُ الْمِصْرِيُّونَ أَنْ يَشْرَبُوا مَاءً مِنَ النَّهْرِ» (خروج 7/ 17 - 18).
- الضفادع. «قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «ادْخُلْ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَطْلُقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. وَإِنْ كُنْتَ تَأْبَى أَنْ تُطْلِقَهُمْ فَهَا أَنَا أَضْرِبُ جَمِيعَ تَحْوِمِكَ بِالضَّفَادِعِ فَيَفِيضُ النَّهْرُ ضَفَادِعَ. فَتَصْعَدُ وَتَدْخُلُ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى مِخْدَعِ فِرَاشِكَ وَعَلَى سَرِيرِكَ وَإِلَى بُيُوتِ عِبِيدِكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَإِلَى تَنَانِيرِكَ وَإِلَى مَعَايِنِكَ. عَلَيْكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَعَبِيدِكَ تَصْعَدُ الضَّفَادِعُ»» (خروج 8/ 1 - 4).
- البعوض: «ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِهَارُونَ: مَدَّ عَصَاكَ وَاضْرِبْ تُرَابَ الْأَرْضِ لِيَصِيرَ بَعُوضًا فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ». فَفَعَلَا كَذَلِكَ. مَدَّ هَارُونُ يَدَهُ بَعَصَاهُ وَضَرَبَ تُرَابَ الْأَرْضِ، فَصَارَ الْبَعُوضُ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ. كُلُّ تُرَابِ الْأَرْضِ صَارَ بَعُوضًا فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ» (خروج 8/ 16 - 17).
- الذباب: «إِنْ كُنْتَ لَا تُطْلِقُ شَعْبِي، هَا أَنَا أُرْسِلُ عَلَيْكَ وَعَلَى عِبِيدِكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى بُيُوتِكَ الذُّبَابَ، فَتَمْتَلِئُ بُيُوتُ الْمِصْرِيِّينَ ذُبَابًا. وَأَيْضًا الْأَرْضُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا» (خروج 8/ 21).
- إهلاك المواشي: «فَهَا يَدُ الرَّبِّ تَكُونُ عَلَى مَوَاشِيكَ الَّتِي فِي الْحَقْلِ، عَلَى الْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْجَمَالِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَبَاً ثَقِيلًا جَدًّا» (خروج 9/ 3).
- البثور على الجلد: «ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: «خُذَا مِلءَ أَيْدِيكُمَا مِنْ رَمَادِ الْأَثْوَنِ، وَلْيَذَرَهُ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ أَمَامَ عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ، لِيَصِيرَ غُبَارًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. فَيَصِيرَ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ دَمَامِلٌ طَالِعَةٌ بِبُثُورٍ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ»» (خروج 9/ 8 - 9).

● البرد والنار: «فَمَدَّ مُوسَىٰ عَصَاهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَأَعْطَى الرَّبُّ رُغُودًا وَبَرَدًا، وَجَرَتْ نَارٌ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَمْطَرَ الرَّبُّ بَرَدًا عَلَى أَرْضِ مِصْرَ. فَكَانَ بَرَدٌ، وَنَارٌ مُتَوَاصِلَةٌ فِي وَسْطِ الْبَرَدِ. شَيْءٌ عَظِيمٌ جَدًّا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ مُنْذُ صَارَتْ أُمَّةً» (خروج 9/ 23 - 24).

● الجراد: «فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ تَأْتِي أَنْ تُطْلِقَ شَعْبِي هَا أَنَا أَجِيءُ غَدًا بِجَرَادٍ عَلَى تُحُومِكَ، فَيَغْطِي وَجْهَ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يُسْتَطَاعَ نَظَرُ الْأَرْضِ. وَيَأْكُلُ الْفُضْلَةَ السَّالِمَةَ الْبَاقِيَةَ لَكُمْ مِنَ الْبَرَدِ. وَيَأْكُلُ جَمِيعَ الشَّجَرِ النَّابِتِ لَكُمْ مِنَ الْحَقْلِ. وَيَمَلَأُ بَيْوتَكَ وَبُيُوتَ جَمِيعِ عِبِيدِكَ وَبُيُوتَ جَمِيعِ الْمِصْرِيِّينَ، الْأَمْرُ الَّذِي لَمْ يَرَهُ آبَاؤُكَ وَلَا آبَاءُ آبَائِكَ مُنْذُ يَوْمٍ وَجَدُوا عَلَى الْأَرْضِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ» (خروج 10/ 3 - 6).

● الظلام لثلاثة أيام: «ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدِّ يَدَكَ نَحْوَ السَّمَاءِ لِيَكُونَ ظَلَامٌ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ، حَتَّى يَلْمَسَ الظَّلَامُ». فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ فَكَانَ ظَلَامٌ دَامِسٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. لَمْ يُبْصِرْ أَحَدٌ أَخَاهُ، وَلَا قَامَ أَحَدٌ مِنْ مَكَانِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. وَلَكِنْ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ لَهُمْ نُورٌ فِي مَسَاكِينِهِمْ» (خروج 10/ 21 - 23).

● موت البكور: «وَقَالَ مُوسَى: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِنِّي نَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ أَخْرِجُ فِي وَسْطِ مِصْرَ، فَيَمُوتُ كُلُّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ، مِنْ بَكْرِ فِرْعَوْنَ الْجَالِسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى بَكْرِ الْجَارِيَةِ الَّتِي خَلْفَ الرَّحَى، وَكُلُّ بَكْرٍ بِهِيمَةٍ» (خروج 11/ 4 - 5).

يقول المعترض: إنَّ هذه الآفات العظيمة قد أصابت مصر، ومن المحال أن تُغفلها الآثار لو أنها وقعت حقيقة. ولسنا نجد في الآثار المصرية ذكراً لها!

وجواب هذا الاعتراض، قولنا:

أولاً: لم تحفظ لنا منطقة دلتا النيل من أخبار عصر رمسيس الثاني وابنه سوى الآثار التي تركها هذان الفرعونان لتمجيد حكمهما، وإظهار عظمتهما. وارتباط

النوازل التي أصابت مصر (الضربات) بموسى -عليه السلام-، يجعل ذكرها في القصور والمعابد بعيداً جداً؛ إذ هي مصدر إذلال للفرعون.

ثانياً: يبدو أنّ هذه الآفات التي أصابت مصر قد وقعت في وقت متقارب، وربما وقعت كلّها في سنة واحدة، أو في موسم الحصاد فقط. وبالتالي فإنّ أحداث عام واحد أو عامين من تاريخ حكم رمسيس الثاني الذي استغرق 66 سنة، ليس صادمًا.

ثالثاً: جميع الآفات التي جاء بها الخبر القرآني - وهو ما يعيننا في هذا الكتاب - هي من النوازل المألوفة في مصر، والتي لها عادة أسبابها الطبيعية⁽¹⁾؛ وقد كانت دراسة ج. هورت أهمّ بحث لبيان أنّ هذه الجوائح معروفة في مصر بسبب العوامل الطبيعية المرتبطة بالمناخ والنيل. وقد بيّنت تكرّر هذه الآفات في تاريخ مصر⁽²⁾.

ولسنا نعني بذلك أنّ العقوبات التي أصابت آل فرعون ليست من الخوارق، وأنّها أحداث طبيعية؛ فإنّ النص القرآني صريح أنّها معجزات خارقة للسنن الكونية، وإنّما قصدنا أنّ الله - سبحانه - قد عاقب آل فرعون من خلال أحداث تجري على يد موسى -عليه السلام- بنوازل اعتاد فرعون وآله أذاها في مصر؛ فقد كانت العقوبات بمألوف الآفات البغيضة إلى القوم، وإن كانت تجري بكلمة كن فيكون. كما أنّ ظاهرة الدّم في الأنهار والمياه لم تكن مجرد احمرار للمياه بسبب التربة الحمراء التي يجرفها فيضان أعالي النيل من أثيوبيا وأيضاً السوطيات Flagellates المجهرية التي تغيّر لون الماء وتسمّم الأسماك (كما هي العادة أحياناً)، وإنّما هي تحوّل حقيقي لبعض المسطحات المائية إلى دم حقيقةً.

وقد كان أهم ما اعترض به على ج. هورت أنّ ترتيب الآفات كما في التوراة لا يوافق متابعتها عادة في مصر. والناظر في القرآن يلحظ أمرًا مميّزًا؛ وهو أنّ في القرآن

See Steiglitz, 'Ancient Records and the Exodus Plagues,' *BAR* 13.6 (1987): 46 - 49; N. M. Sarna, (1) *Exploring Exodus: The Heritage of Biblical Israel* (New York: Schocken, 1986).

G. Hort, 'The Plagues of Egypt,' *ZAW* 69 (1957): 84 - 103; 70 (1958): 48 - 59. (2)

ذكرًا «للطوفان» الذي لم يرد في الضربات العشر التوراتية، وأنه يسبق الجراد والقمل والضفادع والدّم؛ بما يُمثّل ترتيبًا «طبيعيًا» لتتالي هذه الآفات.

وبعلمنا بذلك، بإمكاننا أن ندرك أنّ العقل الوثني المبغض لموسى -عليه السلام- سيجد تفسيراً مفترى لتلك الأحداث؛ يربطها بالعاديات لا الخوارق؛ ولذلك فإنّ إغفال ذكر هذه الآفات ليس مما يجب أن يصدّم المؤرخين المعاصرين.

ج. الخروج من مصر

أعظم ما استنكره المنكرون لتاريخية موسى -عليه السلام- هو ما جاء في قصة التوراة عن العدد المليونيّ للإسرائيليين الذين خرجوا من مصر؛ فإنّ هذا الرقم بعيد عن التصديق لسببين؛ أولهما أنّ أربعة قرون بين زمن يعقوب/ إسرائيل -عليه السلام- وخروج بنيهِ من مصر بقيادة موسى -عليه السلام- لا يمكن أن تحوّل أسرة قليلة الأفراد إلى أمة بهذا العدد الهائل جدًّا في الزمن القديم (مع ما تعرّضوا له من قتل وظلم على يد الفرعون)؛ حتّى قال فرعون لشعبه: «هُوَ ذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا». (خروج 1/9)، والثاني أنّ خروج هذا العدد الضخم من مصر لا يُمكن أن يُغفل تاريخيًّا، فلا بدّ أن يترك آثاره أو بعضها في مصر أو سيناء أو غيرهما؛ إذ إنّنا أمام شعب يساوي عدده حجم أعظم إمبراطوريات ذاك الزمان أو ما يقاربه. والأمر يحتاج بعض تفصيل:

(1) - عدد الخارجين من مصر:

نقلّت الموسوعة اليهودية الاتفاق العام أنّ الأحداث الواردة في سفر الخروج لا يمكن أن تكون تاريخية بكل تفاصيلها. وجعلت حجّتها على ذلك ما يذكره هذا السفر عن عدد الخارجين من مصر من الإسرائيليين، والذين يبلغون مليوني نسمة على الأقل. وتساءلت عن معقولة عبور شعب غير منظم بهذا العدد البحر الأحمر في ليلة واحدة⁽¹⁾.

(1) Isidore Singer, Cyrus Adler, eds. *The Jewish Encyclopedia* (New York: Funk & Wagnalls Company, 1906), 5/294.

وجوابنا، هو أننا نوافق هؤلاء المعترضين إنكارهم للخبر التوراتي، لكننا نقول أيضًا بأن إنكار العدد الضخم للإسرائيليين في مصر وأثناء الخروج لا يلزم منه أطراح القصة برمتها، وإنكار تاريخية موسى - عليه السلام -.

نحن أمام خيار آخر، وهو اتهام التوراة بالمبالغة في أعداد الإسرائيليين، دون ردّ أصل القصة. وقد أحسن الناقد التوراتي الشهير ريتشارد فريدمان، البعيد عن الخطّ المحافظ، والذي اشتهر بدعّمه القوي لنظرية الوثائق الأربعة للتوراة؛ إذ قال في نقد إسقاط قصة الخروج بسبب مبالغات التوراة: «ادّعاءات هؤلاء الأركيولوجيين بأنّ الخروج لم يحدث أبدًا، لا تستند إلى أدلة، وإنّما هي تعتمد إلى حدّ كبير على غيابها. إنهم يؤكدون أننا قمنا بتمشيط سيناء ولم نعثّر على أيّ دليل على وجود عددٍ مليونيّ من الناس يقول الكتاب المقدس إنهم كانوا هناك لمدة 40 عامًا. هذه الدعوى ليست صحيحة. لم تكن هناك حفريات كبرى كثيرة في سيناء، وبالتأكيد لم نقم بتمشيّطها. علاوة على ذلك، فإنّ الكشف عن الأشياء المدفونة منذ 3200 عام مسعى شاق. أخبرني زميلٌ إسرائيلي ضاحكًا أن السيارة التي فُقدت في حرب يوم الغفران عام 1973 تمّ الكشف عنها مؤخرًا تحت 16 مترًا - أي 52 قدمًا - من الرمال. اثنان وخمسون قدمًا في 40 عامًا!

ومع ذلك، فإننا جميعًا نعتز بأن مليونيّ شخص - 603550 من الذكور وعائلاتهم، حسب دعوى التوراة - يجب أن يكونوا قد تركوا بعض البقايا التي سنجدّها. لكن قلّة منّا اعتقدت أن هذا الرقم تاريخيّ على أي حال. لقد قدّر أحدهم منذ زمن بعيد أنه إذا كان هذا العدد من الناس يسير، لنقل في ثمانى مجموعات، فعند وصول الأوائل إلى سيناء، سيكون نصف الناس في مصر لم يغادروها بعد!

لا يوجد دليل أثريّ ضد تاريخيّة الخروج إذا كانت مجموعة أصغر هي التي غادرت مصر. في الواقع، وبوضوح، فإن أوّل ذكرٍ كتابيّ للخروج - نشيد مريم⁽¹⁾ -،

(1) نشيد مريم Song of Miriam: ويُسمّى أيضًا بنشيد البحر. وهو الوارد في نص خروج 15/1 - 18. وقد قال فريق من النقاد إنّ لغته العبرية العتيقة، تدل على أنّه قديم، وأنّ تدوينه غير بعيد عن عصر موسى عليه السلام.

وهو أقدم نصّ في الكتاب المقدس، لم يذكر أبداً عدد الأشخاص الذين شاركوا في الخروج، ولم يتحدث أبداً عن أمة إسرائيل بأكملها. إنه يشير فقط إلى شعب يغادر مصر.

لم تتم إضافة العدد 603550 ذكّر إلى القصة إلا بعد فترة متأخرة بكثير عن الخروج - ما يسمى بالمصدر الكهنوتي، بعد حوالي 400 عام - ⁽¹⁾.

لا شك أنّ مليونين إلى أربعة من الإسرائيليين الأجانب العابرين من مصر إلى سيناء - كما هو تقدير المفسّرين التوراتيين المعاصرين - عدد من المحال تصديقه لأسباب؛ منها أنّ عدد سكّان مصر في تلك الفترة كان في حدود 3 - 5 مليون فرد، وأنّ عدد جنود مصر ما كان يتجاوز 25 ألفاً في أقصى الأحوال، وأنّه من المحال أن يملك هذا العدد الضخم من الإسرائيليين أن يعيش شمال شرق الدلتا (بالإضافة إلى غير الإسرائيليين) في تلك الفترة، وأنّ أكثر من ستمائة ألف من العمال كان بإمكانهم التخلص من السّخرة بسهولة، وأنّ إرسال الفرعون لستمائة عربية لإرجاع الإسرائيليين الهاريين (الخروج 14 / 7) عبثٌ إذا كان عدد الهاريين يفوقهم أكثر من ألف مرة، ومنها أنّ عدد الإسرائيليين في النصف الأول من الألفية الأولى قبل الميلاد في مملكتي يهوذا والسامرة لم يتجاوز في أقصى الأحوال 900 ألف ⁽²⁾.

وقد نبّه الإمام ابن حزم منذ ما يقرب من ألف عام على براءة القرآن من خطأ التوراة في تقدير عدد الإسرائيليين الخارجين من مصر، في قوله: «أَيْنَ هَذَا الْكَذِبِ الْبَارِدِ مِنَ الْحَقِّ الْوَاضِحِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى حَاكِيًا عَنْ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ قَالَ إِذْ تَبِعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٤﴾ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةً قَلِيلُونَ ﴿٥٥﴾» (الشعراء/ 54)، هَذَا الَّذِي لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ وَلَا يُمَكِّنُ سِوَاهُ أَصْلًا» ⁽³⁾. فالذين خرجوا مع موسى - عليه السلام - قلة من الناس.

The Exodus Is Not Fiction An interview with Richard Elliott Friedman (1)

<<https://reformjudaism.org/exodus - not - fiction>>.

James K. Hoffmeier, *Ancient Israel in Sinai*, pp.153 - 155 (2)

(3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 1 / 128.

كما نبّه القرآن إلى قتل الإسرائيليين عند ولادة موسى - عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَدْخُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٤﴾ (القصص / 4)، وقتلهم عند ظهور نبوة موسى - عليه السلام -، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ٢٥﴾ (غافر / 25)، كما نبّه أيضًا إلى أنّ الذين آمنوا بموسى - عليه السلام - من بني إسرائيل قبل الخروج قلّة - على قول طائفة من المفسّرين - في قوله تعالى: ﴿فَمَا ءَآمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ٨٣﴾ (يونس / 83).

ومن العجيب وقوع فراس السواح في أسر التوراة التي يدعو إلى التخلص منها بالكلية؛ إذ يقول إنّ الباحثين قد فشلوا في إيجاد أساس تاريخي لقصة الخروج من مصر «وبقيت النصوص المصرية صامتة صمتًا مطبقًا عن هذا الحدث المركزي في كتاب التوراة. ممّا يرجّح أنّ الخروج قد قامت به مجموعة صغيرة من الأجراء المسخّرين فرّت سلميًا، أو سمح لها بالخروج والعودة من حيث أتت. فمن غير المعقول أن يغادر مصر ستمائة ألف مُسَخَّرٍ من أشباه العبيد، وينسحبون من الدلتا في قتال تراجعي نحو برزخ السويس حيث يهزمون الفرعون ويتسببون في مقتله، دون أن تأتي سجلات ذلك العصر، الذي يعتبر من أكبر فترات التاريخ المصري توثيقًا، على ذكرهم»⁽¹⁾. فبعيدًا عن أنّ الخارجين لم يهزموا الفرعون، وإنّما نجوا منه بعد غرقه في البحر، اعترف السواح أنّه من الراجح أنّ للخروج حقيقة تاريخية، وأنّ العدد كان صغيرًا قلّة تمّ تسخيرها سابقًا في زمن الفرعون (وهو في جوهره عين مقالتنا)، وأنّ «هؤلاء القادمين

(1) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص 198.

لم يدخلوا بأعداد كبيرة من شأنها تغيير الطبيعة السكانية للمنطقة والطغيان على الغالبية الكنعانية الموجودة هناك منذ بدايات التاريخ المكتوب⁽¹⁾. ولا شك أننا نوافق السواح أن الحق هو أن الخارجين من مصر كانوا قلة، وما غيروا طبيعة الحياة الكنعانية في الأرض التي سكنوها..

(2) - تسجيل خروج بني إسرائيل من مصر:

يعترض عدد من المخالفين بقولهم إن خروج بني إسرائيل من مصر أمر لا يمكن تصديقه؛ لأننا لم نعر على أي إشارة إلى عبور عدد كبير من الإسرائيليين الحدود في وثائق عابري حدود مصر ذلك الزمان.

ويجب عالم المصريات كشن هؤلاء، بقوله: «قد قيل لنا: «الحدود بين مصر وكنعان كانت تحت السيطرة اللصيقة وقتها، فإن عبّر عدد ضخم من الإسرائيليين الهاربين عبر حصون الحدود التابعة للسيطرة الفرعونية فيجب أن يوجد سجل لذلك».

ولا شك في أن ذلك قد حدث... إننا نعرف من نقوش الحجارة مثل نقوش تلك القضية الناجحة لكاتب الخزانة موز (أو ميس) من محراب مقبرته في رمال سقارة الجافة أنه قد وُجدت أرشيفات ضخمة من البرديات في كل من هليوبوليس (التي للوزير) وفي بر - رمسيس نفسها (ملفات خزانة ومخزن الحبوب) في شرق الدلتا، والتي لم ينج منها ولا أصغر الفتات. في طين الدلتا الرطب الغامرة لم تنج أي برديّة أبداً (سواء ذكرت العبرانيين الهاربين أم لا) ما لم تكن (كما في تانيس الفترة المتأخرة) قد أُحرقت أولاً وتمت كَرَبَتُهَا تماماً، وصارت بالتالي غير ممكنة القراءة، إلاً بوساطة تقنيات حديثة خاصة جداً. وبعبارة أخرى، فُقدت أرشيفات القرن الثالث عشر الرسمية من مراكز شرق الدلتا بنسبة 100 ٪، فلا يمكننا أن نتوقع أن نجد ذكراً

(1) المصدر السابق، ص 201.

فيها عن العبرانيين أو أي شخص آخر. الأثر الوحيد الإداري الصّرف الذي عُثر عليه في بر - رمسيس (حتى الآن) حفنةٌ من بطاقاتٍ محتويات آنية الخمر التي تذكر تفاصيلَ عن خمرٍ من السنة ال 52 من حكم رمسيس الثاني⁽¹⁾. خلاصة الكلام في مسألة تاريخيّة قصّة الخروج، هي أنّ هذه القصّة لا تسقط إلّا إذا حاكمنا القصّة إلى جميع ما جاء في التوراة، وهو ما لا يفعله مسلم؛ لمخالفة تفاصيل التوراة اليهوديّة الخبر القرآني. وليس في البحث الأركيولوجي شيء يدين الخبر القرآني.

ومن اللافت هنا قول الأكيولوجي أبراهام فوست⁽²⁾: «بينما هناك إجماع بين العلماء على أنّ قصّة الخروج لم تقع بالطريقة الموصوفة في الكتاب المقدس، من المثير للدهشة أنّ معظم العلماء على اتفاق أنّ القصّة تحتوي على نواة تاريخيّة صحيحة، وأن بعض مستوطني المرتفعات جاؤوا - بطريقة أو بأخرى - من مصر»⁽³⁾. وساق فوست أسماء نقّاد كثر (يبلغ عددهم العشرين) على هذا الرأي⁽⁴⁾.

ح. رحلة التّيه

يقول المعارض: كيف تكون رحلة تيه بني إسرائيل أربعين سنة في سيناء صادقةً تاريخيًا، ونحن لم نعر على آثار إقامتهم فيها هذه السنوات؟! هذا الاعتراض غافل عن أوصاف حياة بني إسرائيل في مرحلة التيه:

- بنو إسرائيل، كانوا في رحلة التيه جماعة صغيرة تعيش حياةً شبه بدويّة، بعدما خرجت فارّةً من ظلم الفرعون. وليس من طبيعة هذه الحياة - كما هو متّفق عليه - تركُ بصماتها على الأرض، إلّا نادرًا. وقد اعترف بذلك فنكلشتاين الذي كان له نشاط مَسْحِيّ واسع في سيناء والتّجف؛ فقد قال

(1) ك.أ. كتشن، مصداقية العهد القديم، ص 776.

(2) أبراهام فوست Avraham Faust: أركيولوجي من فلسطين المحتلة. أستاذ في جامعة بار إيلان. له اهتمام خاص بأركيولوجيا إسرائيل القديمة في العصر الحديدي.

(3) Avraham Faust, 'The Emergence of Iron Age Israel,' in T.E. Levy, T. Schneider and W.H.C. Propp, eds. (3) *Israel's Exodus in Transdisciplinary Perspective*, p. 476.

Ibid. (4)

إنّه من الصعب العثور على آثار لساكني الصحراء القدماء، وحتى بدو القرن التاسع عشر⁽¹⁾، مؤكداً أنّ طبيعة التنقل المستمرّ وعدم الاستقرار، تجعلهم يتخفّفون من كثير من الأدوات المعيشية المادية والمظاهر الثقافية التي تترك أثرها عادة في الأرض⁽²⁾. وأضاف الأركيولوجي بن يوسف⁽³⁾ أنّه حتّى المجتمعات البدوية المعقدة والمستقرة والثرية نسبياً «تبقى شفافة (لا تُرى) في الممارسات الأثرية الشائعة، ما لم تشارك في نشاطات متميّزة مثل التعدين والصهر»⁽⁴⁾. وعلى الرغم من التقدّم الكبير في «علم آثار التنقل» إلّا أنّ مناطق البدو قد تُفِلّت من الرصد⁽⁵⁾.

- خرج بنو إسرائيل فارّين من مصر، لا يحملون معهم أسباب إقامة العمران في مناطق قفر. والتوراة تذكر أنهم قد سكنوا الخيام أثناء ذلك (خروج 16/16، العدد 1/52، 9/17، تثنية 1/27، 33/...). وقد شكّك بعضهم في استعمال بني إسرائيل للخيام في ذاك الزمان البعيد. وليس ذاك الاعتراض بشيء؛ إذ من الممكن الإشارة إلى أنّ حوليات تحتمس الثالث ونقوش قادش التي تعود إلى رمسيس الثاني، قد ذكرت تخييم الجيش المصري في هذه الحملات⁽⁶⁾.
- لم يلتق بنو إسرائيل بجماعات أخرى للتعاون لإقامة العمران الذي يترك عادةً آثاره في الأرض.

(1) Israel Finkelstein and Avi Perevolotsky, 'Processes of Sedentarization and Nomadization in the History of Sinai and the Negev,' *BASOR* 279 (1990): 67.

Ibid., 68. (2)

الغريب - مع ذلك - أنّ فنكلشتاين قد عاد لاحقاً في كتابه الشهير «The Bible Unearthed» (ص 62) إلى الزعم أنّه لا بدّ أن تترك رحلة التيه آثارها الظاهرة التي من الممكن كشفها. ولعلّ ذلك بسبب إيمان فنكلشتاين بالعدد المليونى للإسرائيليين في رحلة التيه.

(3) إريز بن يوسف Erez Ben-Yosef: أستاذ في قسم الأركيولوجيا وثقافات الشرق الأدنى، جامعة تل أبيب. له اهتمام خاص بالمنهج العلميّة الحديثة لتأريخ الآثار القديمة.

(4) E. Ben-Yosef, 'Back to Solomon's Era, results of the first excavations at Slaves' Hill (Site 34, Timna, Israel),' *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* (2016), 376:169.

(5) H. Barnard, W. Wendrich, *The Archaeology of Mobility: Old World and New World Nomadism* (Los Angeles, CA: Cotsen Institute of Archaeology at UCLA, 2008).

(6) James K. Hoffmeier, *Ancient Israel in Sinai*, pp.151—152. (6)

● كان بنو إسرائيل يرجون كلّ سنة في رحلة التيه الطويلة أن يخرجوا من ضياعهم في هذه الأرض الواسعة؛ ليستقروا في بلاد من الممكن إقامة العمران فيها؛ ولذلك فلم يكن من الحكمة أن يقيموا بُنيانهم في أرض سيرحلون عنها في يوم قريب جدًّا - في ظَّهْم -.

ومن المهم الإشارة هنا أنّ من الرافضين لتاريخية خروج بني إسرائيل من مصر، من أقرّ أنّ قصّة الخروج كما في التوراة اليهودية تعكس معرفة جيّدة بجغرافيا شرق الدلتا، وشبه جزيرة سيناء، والنجف، وشرق الأردن، ومنهم الأركيولوجي أميهاي مازار، الذي زعم أنّ ذلك قد يعود إلى أنّ جماعة من العبيد ذوي الأصول السامية الغربيّة قد فرّوا من شمال شرقي الدلتا إلى سيناء في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ثم التحقوا «بالكونفدرالية الإسرائيلية» لاحقًا، وجاؤوا معهم بقصة الخروج مع أفكار دينية جديدة⁽¹⁾.

وما قاله مازار لا يفصله عن الحقيقة سوى أن ينزع من رأسه الرقم المليونى الذي ادعته التوراة للخارجين مع موسى -عليه السلام- من مصر؛ ليصير ما قاله عن هذا الفريق من «العبيد ذوي الأصول السامية الغربية» عين ما نقوله في بني إسرائيل، وخروجهم من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وليستغني - بذلك - المرء عن البحث عن سبب معقول لمعرفة مؤلف التوراة اليهودية بجغرافيا الخروج!

خ. مشابهة ميلاد موسى عليه السلام لميلاد سرجون
عُثر على نص شعري يتحدّث عن الملك سرجون، اتخذه عدد من الكتّاب الملاحظة حجةً للتشكيك في أصالة قصة ميلاد موسى -عليه السلام- في التوراة والقرآن.

(1) Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, p.60

تعود هذه الوثيقة إلى الألفية الأولى قبل الميلاد⁽¹⁾، وتتحدث عن ميلاد سرجون، وتفسر الصعود السريع لأول حاكم كبير سامي الأصل في بلاد الرافدين، سرجون الأول الأكادي (2334 - 2279 ق.م).

يذكر النص أن سرجون الأول ابنٌ غير شرعيٍّ لكاهنة أهلكته لَمَّا كان رضيعاً؛ لأنَّ وظيفتها تمنعها أن يكون لها أولاد⁽²⁾. ولم تشتهر هذه الوثيقة إلا بسبب ما جاء فيها من مشابهة لقصة موسى -عليه السلام-؛ إذ يذكر النص أن أمَّ سرجون قد وضعت في النهر في سلّة من البرديّ قد خُتِمت بالزّفت. وهو نصٌّ يُشابه نصَّ خروج 2/ 1 - 5: «وَذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِ لَآوِي وَأَخَذَ بِنْتَ لَآوِي، فَحَبَلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتْ ابْنًا. وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ، خَبَأَتْهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُخَبِّئَهُ بَعْدُ، أَخَذَتْ لَهُ سَفَطًا مِنَ الْبُرْدِيِّ وَطَلَّتْهُ بِالْحَمَرِ وَالزَّفْتِ، وَوَضَعَتْهُ الْوَلَدَ فِيهِ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. وَوَقَفَتْ أُخْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ لِتَعْرِفَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ. فَنَزَلَتْ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتْ السَّفَطَ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أَمَتَهَا وَأَخَذَتْهُ».

وقبل التعليق على دعوى الاقتباس، لا بدّ من نقل ترجمة النصّ؛ لتتضح الصورة: «أنا سرجون، الملك العظيم، ملك بلاد أكاد. كانت أمي كاهنة عظيمة، ولا أعرف أبي. كان أعمامي يسكنون التّلال.

ومدينتي (حيث ولدت) هي أزويرانو التي تقع على ضفاف الفرات. لقد حملتني أمي، الكاهنة العظيمة، وولدتني سرّاً.

(1) Bill T. Arnold, Bryan E. Beyer, eds. *Readings from the Ancient Near East: Primary Sources for Old Testament Study* (MI: Baker Academic, 2002), p.75; Benjamin R. Foster, *The Age of Agade: Inventing Empire in Ancient Mesopotamia* (London: Routledge, 2015), p.268; Brian Lewis, *The Sargon Legend: A study of the Akkadian text and the tale of the hero who was exposed at birth* (MA: American Schools of Oriental Research, 1980), pp.106 - 107.

Ibid. (2)

ووضعتني في سلّة من البردي، وختمت غطاءها بالزّفت.
تركنتني إلى النهر الذي لا أملك الفرار منه.

حملني النهر، وأخذني إلى غرّاف الماء أكي. انتشلني أكي الغرّاف عندما غمس
دلوّه في الماء.

ربّاني أكي الغرّاف كابنٍ له.
وجعلني أكي الغرّاف بُستانيّاً عنده.
وعندما كنت بُستانيّاً، أحبّيتني عشتار.
(ولذلك) حَكَمْتُ كملكٍ خمسًا وخمسين سنة
تولّيتُ على شعب الرؤوس السوداء⁽¹⁾، وحَكَمْتُه.
[عبرتُ بين؟] جبالٍ صعبةٍ معتمدًا على فُؤوسٍ من البرونز.
تسلّقتُ النّطاقات العُليا مرّاتٍ ومرّاتٍ.
اجتزتُ النّطاقات الدُّنيا مرّاتٍ ومرّاتٍ.
حاصرتُ [أرض؟] البحر ثلاث مرّاتٍ.
غزوتُ تلمون⁽²⁾...

صعدت إلى دير العظيمة، و...

حطّمتُ [كزلّو].

أبّي ملكٍ يأتي بعدي

[ليكن ملكًا 55 عامًا؟]

ليتولّى ويحكم [شعب الرؤوس السوداء.

(1) لقب للسومريين.

(2) منطقة في البلاد العربية.

[ليواجه؟] الجبال الصعبة مستعملاً [فؤوساً من البرونز]...

ليتسلق النطاقات العليا مرّاتٍ ومرّاتٍ...»⁽¹⁾.

ونحن نرفض دعوى الاقتباس لأسباب:

أولاً: لا تشابه بين القصّتين سوى في وضع الأمّ ابناً في نهر، في سبط مطلبي بالزّفت. وأما الأمور السابقة لهذه الجزئية في قصّة سرجون والتالية لها؛ فلا تشابه

قصّة موسى - عليه السلام - في التوراة والقرآن:

- والد موسى - عليه السلام - ليس رجلاً مجهولاً، وإنما هو رجلٌ لاوي.
- أمّ موسى - عليه السلام - ليست كاهنةً.
- موسى وُضِعَ في مجرى ماء في مصر، في حين وُضع سرجون في مجرى ماءٍ في بلاد ما بين النهرين.
- لم تضع أمّ موسى - عليه السلام - ابنها في النّهر لأنه ابن زنا، وإنما خشية أن يقتله فرعون.
- في التوراة، اكتشفت ابنة فرعون موسى - عليه السلام - الرضيع، وفي القرآن اكتشفته زوجة فرعون، في حين أنّ رجلاً فقيراً، يعمل في وظيفة متدنية تُسند عادة للأسرى، وهي الاغتراف من الماء، هو مكتشف الوليد في النهر.
- رُبيّ سرجون عند هذا المستقي من الماء في حين تربّى موسى - عليه السلام - في قصر الفرعون.
- صار سرجون بستانياً، ثمّ أَحَبَّهُ إِلَهُهُ الْحَبّ في بلاد الرافدين، عشتار؛ فصار بذلك ملكاً، في حين تُخبرنا التوراة والقرآن أنّ موسى - عليه السلام - لم يَصِرْ مَلِكاً، بل خرج من قصر الفرعون بعد طفولته، ثمّ خرج من مصر مع قومه المستضعفين.

Ibid., pp.75 - 76. (1)

ثانيًا: قصة سرجون كُتبت - كما يقول عامة النقاد - في منتصف النصف الثاني من الألفية الأولى قبل الميلاد، في عصر سرجون الثاني (توفي 705 ق.م) أو قبله بقرن⁽¹⁾، قبل عصر موسى -عليه السلام- بقرون. وإثبات أن القصة مجرد نسخٍ لتراثٍ قديمٍ قريبٍ من سرجون الأول (توفي حوالي 2284 ق.م) يحتاج إلى حجة قوية، كما لا توجد حجة إلى اليوم لردّ هذه القصة إلى ما قبل عصر موسى -عليه السلام-. ثالثًا: التشابه في بعض التفاصيل بين القصص لا يلزم منه أن أحدها أخذ من الآخر؛ خاصةً إذا كانت الاختلافات بين القصتين كبيرة. وقد جمع دونالد ردفور كل أساطير «الطفل المتروك» المعروفة لنا من الشرق الأدنى القديم، فكانت 32 قصةً. وانتهى إلى تقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

- الطفل المتروك بسبب العار.
 - حاول الملك أو شخصية أخرى قوّة قتل الطفل لأنه يمثل تهديدًا لحكمه.
 - مجزرة تمت، تهدّد حياة طفل وآخرين⁽²⁾.
- وانتهى ردفور إلى أن قصة سرجون تنتمي إلى النوع الأول، في حين تنتمي قصة موسى -عليه السلام- إلى النوع الثالث⁽³⁾. ولذلك أنكر أن تكونا حقيقة متقابلتين⁽⁴⁾.
- رابعًا: فسّر عالم المصريات هوفماير ورود قصة الوليد الذي يُلقى في الماء بعد ولادته طلبًا لنجاته، في عدّة نصوصٍ قديمة في الشرق الأدنى، بقوله: «السبب وراء كثرة قصص إلقاء طفل في المياه من جميع أنحاء الشرق الأدنى والبحر الأبيض المتوسط أن ذاك يعكس الممارسة القديمة المتمثلة في إسلام طفلٍ غير مرغوب فيه،

(1) Brian Lewis, *The Sargon Legend: a study of the Akkadian text and tale of the hero, who was exposed at birth* (Cambridge, 1980), 1 - 10.

(2) Donald B. Redford, 'The Literary Motif of the Exposed Child (Cf. Ex. ii 1 - 10)', *Numen*, Vol. 14, Fasc. 3 (Nov., 1967), p.211.

Ibid., pp.214, 218. (3)

Ibid., p.219. (4)

أو شخصٍ يحتاج إلى الحماية، إلى أيدي العناية الإلهية. والمقابل الحديث لهذا الأمر هو ترك طفلٍ على درجات دار أيتام أو على باب كنيسة⁽¹⁾.

ووافقهُ بروفان ولونجمان بقولهما: «الغاية من وجود السلّة على الماء في كلتا الثقافتين إسلام الطفل إلى رعاية الإله الذي يتحكّم في المياه. وذاك هو الموازي القديم للممارسة الحديثة بترك طفلٍ غير مرغوبٍ فيه على عتبة منزلٍ أو مستشفى⁽²⁾».

خامساً: عثر هوفماير على ست كلمات في التوراة مقتبسة من اللغة المصرية القديمة في الأعداد القليلة التي جاء فيها خبر ميلاد موسى -عليه السلام- في التوراة⁽³⁾. والأصل أن نجد كلماتٍ أكاديمية في القصة التوراتية لو كانت دعوى الاقتباس صحيحة، خاصة مع تسليمنا بالأثر البابلي في إعادة كتابة التوراة في وقت متأخر.

أخيراً، حتى تكون التشابهات لافتة للنظر؛ للقول بالاقتباس؛ تحتاج أن تتوفر في هذه التشابهات مجموعة معالم مثل أن تكون:

- أوجه التشابه متعدّدة.
 - الأحداث المتشابهة غير مألوفة في عامة القصص.
 - أوجه التشابه مركّبة (من عناصر متداخلة).
 - تخدم هذه التشابهات الأغراض نفسها في القصّتين.
 - بالإمكان تاريخياً رسم علاقة أثرٍ وتأثيرٍ بين النصّين؛ فالمقتبسُ منه فيهما أسبقُ تاريخياً من المقتبس، إضافة إلى ضرورة التقارب الجغرافي...
- وذاك ما لا نجده في بحثنا هنا في المقارنة بين ميلاد موسى -عليه السلام- وقصة ميلاد سرجون.

Ibid., 138 (1)

Cited in: Josh McDowell and Sean McDowell, *Evidence That Demands a Verdict: Life - Changing Truth for a Skeptical World* (Nashville, Tennessee: Thomas Nelson, 2017), p.465.

Hoffmeier, *Israel in Egypt*, 138-40. (3)

الخلاصة:

- قال عالم المصريات كنت كتشن عن وجود موسى -عليه السلام-: «لا يوجد دليل واقعي لاستبعاد مثل هذا الشخص في هذه الفترة، أو أنه لعب الأدوار المضمّنة في سفر الخروج إلى سفر التثنية. قدرٌ كبير من المناقشات غير الحاسمة من قبل علماء الكتاب المقدس خلال ما يقرب من مائتي عام لم يُثبت شيئاً تقريباً بيقين»⁽¹⁾.
- رفع النكارة عن وجود موسى -عليه السلام-، حُجّة لرفع النكارة عن وجود هارون عليه السلام؛ لأنّ قصّة هارون عليه السلام داخلية في قصّة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل وفرعون.
- ليس في القرآن ما يستنكره البحث الأركيولوجي في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.
- السبب الرئيس لتشكيك فريق من الأركيولوجيين في وجود موسى -عليه السلام- ما رَوَتْهُ التوراة من وجود ملايين من الإسرائيليين في مصر في زمانه، وعند خروجه من مصر، وعند التّيه. وقد أوماً خبر القرآن إلى تكذيب التوراة المحرّفة في مبالغاتها.
- في القرآن دقة تاريخيّة تشفُّ عن مصدره الإلهي.

(1) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.299.